الذي قامت عليه اسرائيل.

ازدواجية وانحياز

لاحظنا ان المرحلة الهرتسلية لم تحقق الاماني الصهيونية في حياة هرتسل. وبعد وفاته، اصبح التوجه الصهيوني محصوراً بما عرف بالاتجاه العملي ـ السياسي الهادف الى التسلل الاستيطاني لفرض الامر الواقع.

وقد قدر لهذا الاتجاه، الذي تزعمه حاييم وايزمان، ان يلعب دوراً في الاطاحة بالسلطان العثماني عبد الحميد، وان يكون فاعلاً في توجهات النظام الجديد، بما يخدم المصالح الصهيونية. وجاءت الحرب العالمية الاولى، فكانت اتفاقية حسين ـ مكماهون، ثم اتفاقية سايكس ـ بيكو، ممهدتين لاصدار وعد بلفور؛ ثم عقد مؤتمر سان ريمو وأُصدر صك الانتداب، تتويجاً لاخراج الحلم الصهيوني الى الوجود.

والحقيقة الصارخة التي لا تقبل الجدل هي ان قيادة الشريف حسين بن علي، التي رضيت بالتنازل تلو التنازل، تتحمل مسؤولية كبيرة في نجاح الحركة الصهيونية في تحقيق اهدافها؛ وذلك بقبوله بالتفسير البريطاني المخادع لاتفاقية سايكس ـ بيكو وبقبول نجله فيصل بتفسيرات وعد بلفور، ثم ترحيبه به، خلافاً للمعارضة الشعبية الواعية داخل فلسطين وفي محيطها.

والواقع، لقد تباينت التفسيرات ووجهات النظر حول الدوافع المحددة التي دفعت بريطانيا الى اعطاء الوعد للصهيونيين. فبعض المحللين رأى ان الدوافع السياسية التي حفزت بريطانيا على اصداره كانت قائمة على رغبة بريطانيا «في استمالة العناصر الصهيونية القوية في المانيا والنمسا خاصة، وفي سائر انحاء العالم عامة، واستجلاب عطف يهود اميركا وقت لم تكن الولايات المتحدة قد قررت فيه خوض الحرب الى جانب الحلفاء. وقد يكون اهم من هذا، ما ارتآه انصار التصريح من انه يؤدي الى جعل فلسطين، المتاخمة لقناة السويس، منطقة نفوذ لبريطانيا تحمي مركزها في مصر، وتضمن الاتصال البري بالشرق، وتقيم سداً بين موقعها في قناة السويس وموقع فرنسا المقبل في سوريا، ثم ان وعد بلفور يمهد السبيل امام بريطانيا للمطالبة بأن تكون فلسطين من حصتها، حتى تتمكن من تنفيذ وعد بلفور»(٥٤).

ورأى كاتب آخر ان تدهور وضع الحلفاء العسكري، ورغبة بريطانيا في دفع الولايات الولايات المتحدة الى دخول الحرب الى جانب الحلفاء، كان احد الاسباب، بحيث يلعب اليهود، بنفوذهم داخل الولايات المتحدة، دوراً مؤثراً في جر الولايات المتحدة لمناصرة الحلفاء عسكرياً. هذا من ناحية؛ ومن ناحية ثانية، التخوف البريطاني من استمالة الالمان للحركة الصهيونية بتقديم وعد بالوطن القومي يستبقون به بريطانيا؛ ثم من ناحية ثالثة، تخوف بريطانيا من انضمام اليهود في روسيا الى الحزب البلشفي الذي كان ينادي بخروج روسيا من الحرب، وبذلك يتحول يهود روسيا نحو الحركة الصهيونية، ناهيك عن تعاطف لويد جورج، رئيس وزراء بريطانيا، ووزير خارجيته، بلفور، مع الحركة الصهيونية، تحت وطأة الميول الدينية والمصالح الامبريالية(٥٥).

ويشارك كاتب ثالث في أن الحافز لاعطاء الوعد انما كان كسب يهود العالم لتأييد الحلفاء في الحرب، والتخوف من استباق المانيا باعطاء وعد، واستجلاب الولايات المتحدة الى جانب الحلفاء، بعد تردي وضعهم العسكري(٥٦).